نساء صغيرات

تأليف
لويزا ماي ألكوت

ترجمة
مروة عبد الفتاح شحاتة



نساء صغيرات

لويزا ماي ألكوت

Little Women

Louisa May Alcott

الطبعة الأولى ٢٠١٢م
رقم إيداع ١٩١٢٦ / ٢٠١١

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

ألكوت، لويزا ماي.
نساء صغيرات / تأليف لويزا ماي ألكوت.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧١ ١٦ ٠

١–القصص الإنجليزية

أ–العنوان

٨٢٣

رسم الغلاف: حنان الكرارجي، تصميم الغلاف: سيلفيا فوزي.

المحتويات

الفصل الأول

مسرحية عيد الميلاد

بينما كانت الثلوج تتساقط في هدوء خارج المنزل الموجود في «نيو إنجلاند»، جلست الشقيقات الأربعة بجوار المدفأة في حجرة المعيشة الدافئة والمريحة.

تذمَّرت جُو البالغة من العمر خمسة عشر عامًا وهي مستلقية فوق السجادة: «سيكون عيد الميلاد مختلفًا دون هدايا.»

تنهَّدت شقيقتها الكبرى، ميج، وقالت وهي تنظر إلى فستانها القديم: «حياة الفقراء ليست ممتعة.»

تأفَّفت إيمي، الصغرى بينهن وتبلغ من العمر اثني عشر عامًا: «ليس عدلًا أن تحصل بعض الفتيات على الكثير من الأشياء الجميلة، وأخريات لا يحصلن على شيء على الإطلاق.»

قالت بيث البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا في سرور وهي جالسة في زاوية الغرفة: «لكن لدينا أمٌّ وأبٌ يحباننا كثيرًا، ولطالما كنا معًا.» بدا أن كلماتها أسعدت شقيقاتها.

قالت جو: «لكن أبانا سافر منذ مدة طويلة، ولا ندري متى سيعود.»

قالت ميج في إصرار: «سيكون هذا الشتاء قاسيًا علينا جميعًا. لا ينبغي لنا شراء الهدايا في حين أن كثيرًا من الناس يعانون ويلات الحرب. لا بد أن نقدم التضحيات!» وبالرغم مما قالته ميج من كلام طيِّب، فإنها كانت تشتاق إلى هدايا عيد الميلاد الجميلة.

قالت جو: «لا تملك كل واحدة منا سوى دولار واحد، وهذا لن يساعد الجيش كثيرًا.» كانت جو تحب القراءة كثيرًا وأرادت شراء رواية جديدة. أما بيث فقد اشتاقت كثيرًا إلى العزف على البيانو واشتاقت إيمي إلى أقلام التلوين الخشبية لكي ترسم.

استطردت جو: «لن تمانع أمُّنا إذا أنفقنا نقودنا في شراء أشياء لنا والاستمتاع قليلًا. فنحن نكِدُّ في عملنا.»

دقت الساعة السادسة تمامًا، وضعت بيث خف والدتها أمام المدفأة لتدفئته. لاحظت جو أن خف أمها عتيق وبالٍ، وقالت: «لا بد أن نأتي بخف جديد لأمِّنا مارمي.»

عندما أعلنت بيث أنها ستشتري بالدولار الذي تملكه خفًّا لوالدتها، أصرت جو على أن تشتريه هي، وذلك لأن أباها كان قد أوصاها بأن تعتني بأمِّها جيدًا أثناء غيابه. وفكرت ميج أنه ينبغي عليها هي أن تشتريه لأنها الشقيقة الكبرى.

قالت بيث: «لديّ فكرة! لنشتري جميعًا هدايا لمارمي، وليس لأنفسنا.»

رأت الفتيات أن هذه الفكرة رائعة، قالت ميج إنها ستشتري لها قفازًا.

صاحت جو: «سأشتري لها خفًّا من الساتان! أفضل خف يمكنني الحصول عليه.»

أضافت بيث: «سأشتري لها مناديل جميلة مُطَرَّزة الحواف.»

فكرت إيمي دقيقة وهي تجذب إحدى خصلات شعرها الأشقر، وقالت: «سأحضر لمارمي زجاجة عطر. وبهذه الطريقة سيتبقى معي قليل من المال لنفسي.»

شعرت جو بالحماسة، وقالت: «أتحرق شوقًا إلى مفاجأتها!»

ثم استدارت إلى شقيقاتها، وقالت: «سنذهب للتسوق غدًا، وتذَكَّرْن أن علينا التمرن على مسرحية عيد الميلاد.» أخذت جو تسير في غرفة المعيشة، وبعد دقائق قليلة، انفجرت الفتيات في الضحك بصوت عال حتى إنهن لم يسمعن أمهن وهي قادمة من البرد في الخارج.

قالت مارمي: «كم أنا سعيدة لأنكن تحظين بوقت ممتع، هل أمضيتن يومًا سعيدًا؟»

عندما خلعت مارمي ملابسها المبتلة، وارتدت خفَّها الدافئ، وجلست أمام المدفأة، هبَّت الفتيات إلى العمل. ذكت جو النيران بالحطب، وأعدت ميج العشاء وساعدتها بيث، وأشرفت إيمي على شقيقاتها تخبرهن بما يفعلنه وكيف يفعلنه.

عندما جلسن حول المائدة لتناول الطعام، قالت مارمي: «لديَّ مفاجأة، لكن بعد العشاء يا فتيات.»

علت الابتسامة وجوههن سريعًا، وقذفت جو بالمنديل في الهواء، وصاحت: «لا بد أنه خطاب، يعيش أبي!»

أومأت مارمي: «أجل، إنه خطاب من أبيكُنّ. هو بخير ويرى أن هذا الشتاء لن يكون سيئًا بدرجة كبيرة. ويهنئكن بحلول عيد الميلاد، وهناك رسالة خاصة بعثها لكنني لن أخبركن بها إلا بعد تناول العشاء.»

أسرعت الفتيات في تناول العشاء، فقد كن يَتُقْنَ إلى قراءة الخطاب، إذ شعرن بافتقاد أبيهن كثيرًا.

بعد العشاء، جلست الفتيات بجوار والدتهن بجانب المدفأة. قرأت مارمي: «أخبري بناتي أنني أفكر فيهن طوال الوقت. وعلى الرغم من أن الوقت لا يزال مبكرًا على رؤيتهن، أعلم أنهن سيحسن التصرف، ولن يهدرن أوقاتهن في أمور غير مجدية. أعلم أنني عندما أعود إلى المنزل، سأشعر بفخر لم أشعر به من قبل بنسائي الصغيرات.»

أقنع الخطاب الفتيات بأن يحسِنَّ التصرف أثناء غياب الأب. وعمَّ السرور أرجاء المنزل مع شروعهن في قضاء أمسيتهن في الخياطة، بعد أن حملت هانا الخادمة الصحون إلى المطبخ. ذكّرت السيدة مارمي بناتها كيف اعتدن تمثيل مشاهد من مسرحية «السائح المسيحي». تذكرت الفتيات ركضهن بالمنزل وهن يحملن حقائب على ظهورهن أثناء فرارهن من القوى الشريرة.

عندما حان موعد النوم، غنَّت الفتيات مع عزف بيث على البيانو القديم. وأدت كل واحدة منهن دورها بطريقتها: قلَّدت ميج صوت الفلوت، أما إيمي فقلدت صوت صرصار الليل، وانضمت إليهن جو في الغناء عندما شعرت برغبة في ذلك، لكنها دخلت في الوقت غير المناسب وأفسدت الأمر كله. اعتادت الفتيات الغناء قبل النوم منذ أن كنَّ صغيرات، وحتى الآن لم يكبرن أبدًا على ترديد تلك الأغنيات الشهيرة قبل النوم.

الفصل الثاني

عيد ميلاد سعيد

في صباح يوم عيد الميلاد، استيقظت الفتيات الأربعة فوجدت كل منهن نسخة من مسرحية «السائح المسيحي» تحت وسادتها. أخبرتهن ميج أنها تنوي قراءة جزء صغير منها كل صباح، لرفع روحها المعنوية ومساعدتها على أن تكون فتاة مثالية. تحدثت جو: «أترون يا فتيات كم أن ميج ماهرة؟! فلْنَسِر على خطاها!»

سرعان ما جلست الشقيقات الأربعة عند الطاولة الصغيرة في حجرات نومهن لقراءة الكتب. وبعد مرور نصف ساعة، نزلن إلى الطابق السفلي ليهنئن أمهن بعيد الميلاد، لكنها لم تكن موجودة.

سألت ميج عن أمها، فأجابتها هانا الخادمة: «حضر شخص ونادى عليها، فخرجت على الفور لترى هل تستطيع تقديم أي مساعدة.»

أعدَّت الفتيات كل شيء لمفاجأة والدتهن، ليَّنت جو الخف الجديد بارتدائه والرقص به في أرجاء الغرفة أثناء إعداد ميج سلة الهدايا. أما بيث فقد تباهت بالمناديل أمام شقيقاتها بعد أن طرزتها بكل حب بكلمة: «أمي».

سألت ميج: «أين العطر الذي أحضرته إيمي؟»

أجابتها جو: «ذهبت إيمي للبحث عن شريط زينة لتلفه حول زجاجة العطر.»

صُفِق الباب، وسمعت الفتيات صوت خطوات في الرواق.

قالت جو: «أسرعا، لقد حضرت أمنا، خبِّئا السلة!»

لكنها لم تكن أمهن، بل كانت إيمي، وبدا أن ثمة خطبًا ما.

سألتها ميج: «ماذا تخفين خلف ظهرك؟»

قالت إيمي: «لا تسخرن منِّي الآن، فقد استبدلت زجاجة العطر الصغيرة التي أحضرتها بزجاجة كبيرة، وقد استنفدت كل ما لدي من مال.» وأخرجت زجاجة العطر

الجديدة من الحقيبة لتريها لشقيقاتها اللاتي عانقنها. استطردت إيمي: «لقد شعرت بالخزي من هديتي بعد أن قرأت في الكتاب عن الطيبة وحسن الخلق هذا الصباح، لذا ذهبت لأشتري لمارمي شيئًا أفضل.»

صُفِق الباب للمرة الثانية، فزجَّت ميج سلة الهدايا تحت الأريكة، واتجهت الفتيات إلى المائدة، والحماسة تملؤهن لتناول فطور عيد الميلاد المجيد. عندما دخلت أمهن الغرفة، صاحت الفتيات: «شكرًا لك على هدية عيد الميلاد يا مارمي، لقد قرأنا جزءًا منها، وسنقرأ المزيد كل يوم!»

– «عيد سعيد يا بناتي الصغيرات! كم أنا سعيدة أن الهدايا أعجبتكن. الآن أود أن أخبركن بأمر ما. تعيش على مقربة منا أسرة فقيرة للغاية، وليس لديها حطب لإشعال المدفأة، ويشعر أفرادها بالجوع. هل من الممكن أن تقدمن لها فطوركن هدية العيد؟»

كانت الفتيات يشعرن بالجوع القارص بعد أن ظللن ساعة في انتظار مارمي، لذا لم تنطق أي منهن بكلمة. اندفعت جو: «أنا سعيدة للغاية أننا لم نتناول منه بعد!»

عرضت بيث مساعدتها في حمل الطعام إلى الأسرة الفقيرة بكل سرور. وقالت إيمي إنها ستحمل القشدة والكعك، وهو الطعام الذي تحبه كثيرًا. وكانت ميج تغطي بالفعل الفطائر وتضع الخبز فوق صحن كبير.

ابتسمت السيدة مارمي، وقالت: «عندما نعود يا بناتي سنفطر بالخبز والحليب، ثم سنُعِدُّ عشاءً رائعًا لتعويضكن عن كل شيء.»

سرعان ما أصبح كل شيء جاهزًا، وخرجت الفتيات لمساعدة الأسرة الفقيرة. عندما وصلن إلى هناك، شعرن بالصدمة عندما رأين الغرفة البائسة الباردة الجرداء، ورأين أمًّا مريضة تحمل طفلها الباكي، وستة أطفال آخرين مكدَّسين أسفل بطانية واحدة، لكنهم ابتسموا عندما دخلت أسرة مارش.

قالت الأم، وتدعى السيدة هامل: «حضرت الملائكة لمساعدتنا!»

ابتسمت جو ابتسامة عريضة، وقالت: «ملائكة مرحين يرتدون أغطية للرأس وقفازات صغيرة.»

وفي غضون بضع دقائق، تبدل حال الغرفة بأكملها. أشعلت هانا المدفأة بالحطب الذي كانت تحمله، وقدمت السيدة مارمي الشاي وعصيدة الشوفان للسيدة هامل، وغطَّت الرضيع برفق. أطعمت الشقيقات الأربعة الأطفال بجوار المدفأة. شعرت الفتيات بسعادة كبيرة عندما رأين الفرحة على وجوههم.

وعندما عادوا إلى المنزل، أخرجت الفتيات هداياهن أثناء انشغال أمهن بالخارج في جمع الملابس لأسرة هامل الفقيرة. صاحت جو في سعادة: «إنها قادمة! هيا يا بيث اعزفي لنا، وأنت يا إيمي افتحي الباب، مرحى يا مارمي!» وأخذت جو تتجول في الغرفة.

قادت ميج أمها التي كانت تبتسم إلى مقعدها. تأثرت الأم بكرم بناتها، وفتحت الهدايا في سرور. ارتدت الخف لتجربته، وعطرت نفسها بالعطر، ووضعت منديلًا جديدًا في جيبها، وقالت إن القفاز يناسبها تمامًا. وبعد تبادل الأحضان والقبلات، حان موعد التحضير لمسرحية الليلة.

حضرت اثنتا عشرة فتاة من الجيران لمشاهدة المسرحية. أدت الشقيقات الأربعة خمسة فصول مشوقة، ارتدين فيها أزياء مختلفة، وكنَّ يحفظن النص جيدًا. سقطت إحدى الأدوات فوق الجمهور فجأة وأحدثت جلجلة. حضرت هانا بعد انتهاء الفصل الأخير مباشرة فوجدت الجميع في نوبة ضحك هستيرية.

أعلنت هانا: «حان وقت العشاء يا فتيات!»

يا لها من مفاجأة! فقد وجدت الفتيات فوق مائدة الطعام نوعين مختلفين من الآيس كريم، والكثير من الحلوى والفاكهة والكيك وأربع باقات من الزهور! لم تنطق أي منهن بكلمة في البداية، وفي النهاية همست بيث: «لا بد أن بابا نويل هو من أحضر هذه الأشياء.»

سألت إيمي: «هل أحضرت الجنيات هذه الأشياء؟»

قالت ميج: «لا بد أنها أمُّنا التي أحضرتها.»

صاحت جو: «لا بد أن عمتي مارش أرسلتها.»

قالت مارمي: «كلا، كلكن مخطئات، لقد أرسلها السيد لورانس العجوز.»

سألتها ميج: «أتقصدين جد الفتى لورانس؟ لكننا لا نعرفه، لماذا يرسل إلينا كل هذا الطعام؟»

أجابتها مارمي: «لقد أخبرت هانا أحد خادميه بما فعلتُنَّه اليوم يا فتيات، لذا أراد السيد لورانس أن يعبر عن تقديره لكُنّ بمفاجأة مميزة. والآن أمامكن وليمة صغيرة تعوضكن عن فطور الخبز واللبن.»

قالت جو وهي مستغرقة في التفكير: «لا بد أن حفيده لورانس أوحى إليه بهذه الفكرة، أنا واثقة أنه فتى طيب القلب.»

استمتعت الفتيات بالوليمة الشهية أثناء حديثهن عن الشاب الذي يعيش بالجوار وعن جده الذي يغالي في الخوف عليه.

قالت جو: «لقد أحضر لي قطتي ذات مرة، وكان لطيفًا للغاية، أود التعرف عليه، أعتقد أنه بحاجة إلى بعض المرح.»

وافقتها مارمي: «إنه دمث الخلق، ويبدو أنه شاب مهذب، كان ينبغي لي أن أدعوه إلى هنا لمشاهدة المسرحية التي قمتن بأدائها.»

ضحكت جو: «لعلها فكرة سديدة أنك لم تدعيه، انظري إلينا!» وأخذت ترقص وهي تنتعل حذاءها الجلدي القديم لإضحاكهن.

أُعجبت ميج بالزهور، وعانقت بيث أمها وقالت: «ليتني أستطيع إرسال باقتي إلى أبي، أنا واثقة أنه لا يستمتع بعيد الميلاد مثلنا.»

الفصل الثالث

الفتى لورانس

أثناء قراءة جو الكتاب، انهمرت الدموع فوق وجنتيها النحيفتين. جلست جو فوق أريكة عتيقة في علية المنزل، وبجوارها فأرها المدلل سكرابل. كانت علية المنزل المكان المفضل لدى جو بالمنزل، كثيرًا ما كانت تذهب إلى هناك لتأكل التفاح وتستغرق في قراءة كتاب. عندما سمعت ميج تناديها، صاحت: «أنا هنا بالأعلى!»

كانت ميج سعيدة للغاية لأنهما دُعيتا إلى حفل ليلة رأس السنة الراقص بمنزل سالي جاردينر.

صاحت: «مرحى يا جو! لقد وافقت مارمي على ذهابنا، ماذا سنرتدي؟»

– «سنرتدي فساتيننا القطنية القديمة، فهي كل ما نملك.»

تنهدت ميج وقالت: «ليتني أملك فستانًا من الحرير! تقول أمي إنه عليّ الانتظار حتى أبلغ ثمانية عشر عامًا — لا يزال أمامي سنتان.»

– «فساتيننا القطنية لا بأس بها، وفستانك يبدو جديدًا تمامًا، أما فستاني فبه جزء محترق وممزق. ماذا سأفعل؟»

نصحتها شقيقتها: «عليك الجلوس في مكانك قدر استطاعتك، وإسناد ظهرك إلى الجدار حتى لا يرى أحد ذلك الجزء المحترق.»

«لكن ماذا عن قفازي؟ فقد سكبت عليه عصير الليمون وتلف تمامًا أيضًا.» ثم فكرت جو كم سيكلفها شراء قفاز جديد، وقالت: «لا أريد أن أرتدي أي قفازات.»

صاحت ميج: «لا بد أن ترتدي قفازًا، وإلا لن أذهب إلى هناك.» لطالما أرادت ميج أن تتحلى بالمظهر اللائق اجتماعيًّا.

قررت الشقيقتان أن ترتدي كل منهما فردة واحدة من قفاز ميج الجيد وتمسك بفردة من قفاز جو المهترئ. وأخذت ميج من شقيقتها وعدًا بأن تتصرف كسيدات المجتمع. وافقت جو وأرسلت موافقتها على الدعوة بعد أن انتهت من قراءة كتابها.

في ليلة رأس السنة، أمضت الشقيقتان وقتًا طويلًا في الإعداد للحفل. وبعد حادثة مؤسفة (أحرقت جو شعر ميج أثناء محاولاتها تصفيفه)، كانت الشقيقتان سعيدتين بالتصفيفة النهائية. بدت الشقيقتان أنيقتين وجميلتين، على الرغم من أن حذاء ميج ذا الكعب العالي كان ضيقًا للغاية، ووخز دبوس الشعر جو في فروة رأسها. تمنت لهما أمهما قضاء وقت سعيد.

وصلت الشقيقتان إلى منزل سالي، وأمضتا بضع دقائق في النظر لأنفسهما في المرآة الموجودة في حجرة الملابس بمنزل السيدة جاردنر. شعرت ميج بالقلق حيال شعرها المحترق، وشعرت جو بالقلق مخافة أن تتصرف على نحو غير لائق. واتفقتا على أمر؛ إذا تصرفت جو على نحو غير ملائم، فسترفع ميج حاجبيها.

بعد أن نزلتا إلى الطابق السفلي، وجدت ميج مجموعة من الفتيات في نفس عمرها فتحدثت معهن ثم بدأت ترقص، على الرغم من أن حذاءها الجديد آلمها. أرادت جو بشدة الانضمام إلى مجموعة من الفتية يتحدثون عن التزلج على الجليد، وهو ما أحبته كثيرًا، لكن ميج رفعت حاجبيها، لذا تراجعت جو! حاولت جو مقاومة شعورها بالوحدة والغربة، لكن عندما اتجه نحوها فتى ضخم أصهب الشعر، اختبأت داخل غرفة صغيرة عليها ستار، لكن لم تكن وحدها بالغرفة، بل أصبحت وجهًا لوجه مع الفتى لورانس!

اندفعت جو قائلة: «آسفة، لم أدرك أن شخصًا آخر هنا.» بدأت تتراجع للخروج من الغرفة، لكنه ضحك، وقال: «لا عليكِ، امكثي هنا إذا شئت.»

– «ألن أضايقك؟»

– «مطلقًا، لقد دخلت هنا لأنني لا أعرف الكثير من الناس في الخارج وشعرت بالوحدة والغربة قليلًا.»

– «وأنا أيضًا.»

بدأ حديثهما على نحو مرتبك، لأنهما كانا يشعران بالخجل، ثم شكرته جو على عشاء عيد الميلاد، فقال إنها كانت فكرة جدِّه.

– «كيف حال قطتك يا آنسة مارش؟»

– «بخير حال، شكرًا يا سيد لورانس، لكن اسمي جو، وليس الآنسة مارش.»

ابتسم، وأجابها: «إذن، فأنا اسمي لوري، وليس السيد لورانس.»

– «لوري لورانس، يا له من اسم غريب.»

– «اسمي ثيودور، لكنني لا أحبه لأن الأولاد كانوا ينادونني «دورا»، لذا جعلتهم ينادونني باسم لوري بدلًا من ذلك.»

– «وأنا أتمنى أن يناديني الجميع باسم جو بدلًا من جوزفين.»

سريعًا ما أصبحا يتحدثان كصديقين قديمين، تحمَّست جو كثيرًا عندما علمت أن لوري درس في فرنسا. أخبرها أنه لم يكن مهتمًّا بالالتحاق بالكلية، وأخبرته جو أنها تود العيش في إيطاليا. بعد ذلك رقصا في الرواق حتى لا يظهر الجزء المحترق من فستان جو أمام الناس. أمضى لوري وجو وقتًا رائعًا معًا حتى نادت ميج على جو وأخذتها إلى غرفة جانبية. جلست ميج فوق أريكة وأمسكت بقدمها وبدت شاحبة الوجه.

قالت ميج في ألم: «لقد انكسر كعب الحذاء والتوى كاحلي، لا أدري كيف سأعود إلى المنزل.»

اقترحت جو أن تحضر عربة، لكن ميج قالت لها إنها ستكلفهما كثيرًا. ثم قررتا أن ترتاح ميج حتى تأتي هانا وتأخذهما، وحينئذ ستحاول العودة إلى المنزل سيرًا. أرسلت ميج جو لإحضار قهوتها.

عندما أخذت ميج رشفة، انسكبت القهوة فوق فستانها، وأتلفت فردة القفاز الجيد عندما حاولت إزالة البقع من الفستان. حضر لوري ومعه فنجان قهوة قدَّمه إلى ميج. أمضى ثلاثتهم وقتًا ممتعًا معًا في الضحك واللعب وتناول الحلوى، حتى إنهم لم يلحظوا حضور هانا. نهضت ميج على الفور وحاولت إخفاء شعورها بالألم. لكن هانا وبَّختها، فبكت ميج.

قررت جو البحث عن عربة، لكنها قابلت لوري الذي كان على وشك العودة إلى منزله. واقترح أن يصطحبهن إلى المنزل معه في عربة جده الأنيقة. ويا لها من رحلة ممتعة داخل العربة! شعرت ميج وجو أنهما من سيدات المجتمع الراقي، وأمضتا الوقت داخل العربة في تذكر مغامرات ذلك المساء.

ما إن دخلتا من الباب الأمامي، حتى صاحت كل من إيمي وبيث: «أخبرانا عن الحفل!»

وأثناء مداواة جو لكاحل ميج، استمعت الفتاتان الصغيرتان إلى ميج وجو وهما تحكيان عن حوادث احتراق الشعر، وإتلاف القفاز، والفستان الملطخ، والحذاء الضيق، والكاحل الملتوي، وكل الأمور الأخرى!

الفصل الرابع

أعباء العمل

بعد أن انقضت إجازة العيد، بدأ يوم جديد على نحو بائس. حاولت ميج إخفاء حسدها للفتيات اللاتي لا يتحملن الكثير من الأعباء. لم ترغب جو في العودة إلى العمل، أما بيث فكانت تعاني صداعًا، وتذمرت إيمي لأنها لم تنه واجبها المدرسي.

حملت الفتيات الفطائر المحشوة الساخنة، واتجهن إلى الخارج. نظرت مارمي من النافذة وابتسمت وأومأت إليهن. بدا أن ابتسامتها رفعت من روحهن المعنوية، كانت ميج الأكثر ضيقًا من حياة الفقر بين شقيقاتها، فهي تحب الأشياء الفاخرة، وتحتفظ بذكريات جميلة عن أفضل أيام عاشتها.

توسلت الفتاتان الكبريان إلى أمهما كي تعملان من أجل مساعدة الأسرة. لذا عملت ميج مربية لدى أسرة كينج، أما جو فكانت ترافق عمتهن الكبرى، العمة مارش، التي كانت ثرية ولكنها كانت خائرة القوى. على الرغم من الاختلافات الموجودة بينهما، كانت الأمور بين جو والعمة مارش تسير على أفضل حال، وكثيرًا ما كانت تمضي جو الوقت في المكتبة الكبيرة حينما لا تكون عمتها في حاجة إلى مساعدتها.

تأثرت الفتيات بفقرهن على نحو مختلف، فعلى الرغم من محاولاتهن الحفاظ على السعادة والمرح، كانت بيث تبكي قليلًا لأنها لا تستطيع تحمل تكاليف دروس الموسيقى. تلقَّت بيث الفتاة الهادئة الخجولة دروسها بالمنزل، وأمضت الكثير من الوقت في اللعب مع الدمى. كانت فتاة طيبة القلب تستمد متعتها الكبرى من الاهتمام بالآخرين.

أما إيمي، فكانت تعاني مشكلة كبيرة مع أنفها، وقد لامت جو لأنها أسقطتها مرة وهي طفلة رضيعة عن غير قصد. وباءت كل محاولات الضغط من أجل تصغير أنفها بالفشل. من حيث الموهبة، كانت إيمي الفنانة بين شقيقاتها، فدائمًا ما كانت ترسم الزهور والجنِّيات وكل الأنوف الجميلة التي كانت تتمناها.

بوجه عام عاشت الفتيات في سعادة تجد كل منهن الطمأنينة مع شقيقاتها في الوقت الذي يكون فيه العالم الخارجي مخيبًا للآمال. كانت أيام العمل الشاقَّة تنتهي بمكافأة؛ فكنَّ يتجاذبن أطراف الحديث ساعات طويلة مع أمهن بعد العشاء.

في تلك الليلة، أخبرتهن السيدة مارمي بقصة مؤثرة؛ فبينما كانت تقص السُترات، دخل رجل عجوز إلى المحل. كان أبناؤه الأربعة في الجيش؛ قُتل اثنان منهم، ووقع الثالث في الأسر، ورابعهم مريض في مستشفى بواشنطن. عبَّرت مارمي عن امتنانها لمقابلة رجل يتقبل واجبه بصدر رحب هكذا، وهو ما جعلها تحمد الله على النعم التي تملكها.

طلبت منها جو: «أخبرينا قصة أخرى لها مغزى أخلاقي.» بدأت مارمي تقص عليهن قصة عن أربع فتيات لديهن كفايتهن من الطعام والشراب والثياب. كان لديهن الكثير من الأصدقاء الرائعين وعائلة تحبهن كثيرًا. لكن أولئك الفتيات لم يكن يشعرن بالسعادة، ودائمًا ما يطلبن هذا ويتمنين ذاك. رمقت الفتيات الأربعة بعضهن بعضًا بنظرات سريعة، وأخذن يغزلن بسرعة أثناء سرد أمهن القصة.

قالت مارمي: «عندما تشعرن بالتعاسة، أحصين النعم التي لديكن واشكرن الله؛ وذلك لأنه دائمًا يكون في العالم من هم أقل منكن.»

استمتعت الفتيات بسماع القصة، واتفقن على التوقف عن التذمر والبحث عن السعادة في النعم البسيطة التي يتمتعن بها، وتتذكر كلمات مارمي جيدًا على الدوام.